المقتطف

الجزء السادس من المجلد الرابع والاربعين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩١٤ — الموافق ٧ رجب سنة ١٣٣٢

رؤساء النظارات المصرية

مصطفى باشا فهمي

من يرَ عطوفة مصطفى باشا فهمي ويسمع حديثهُ مع زائريهِ يصعب عليهِ ان يصدق انهُ تربى تربية عسكرية ولكنهُ اذا سمعهُ يدافع عما يعتقدهُ حقاً مهضوماً او ينتقد ما يحسبهُ اجحافاً بحقوق الغير ورأى ما يلوح على وجههِ حينئذٍ من ملامح الحدَّة وما يبدو في صوتهِ ولهجتهِ من دلائل الحزم وجد ان التربية العسكرية قد تمكنت منهُ حتى تبدو امارتها كلما اقتضت الحال ذلك . فقد جمع الى الرقة الفطرية واللين الخلقي حزماً وعزماً قلما يكونان الاَّ في مَن تربى تربية عسكرية

تلقى دروسهُ في مدرسة القلعة الحربية لما كان ناظرها المرحوم رفاعه بك وتقلَّب في خطط الحكومة المختلفة فكان ياوراً للخديوي الاسبق اسمعيل باشا ثم ناظراً للخاصة الخديوية فمحافظاً لمصر فمديراً للمنوفية فناظراً للاشغال العمومية ثم للخارجية في وزارة رياض باشا الاولى

ولما استقالت وزارة رياض باشا انتظم في وزارة شريف باشا ناظراً للحربية ولما شكلت وزارة نوبار باشا الثانية جُعل ناظراً للداخلية . ثم انتظم في وزارة رياض باشا الثانية حتى اذا استعفت دعاهُ المرحوم الخديوي السابق لتأليف وزارة فالفها واخذ نظارة الداخلية واقام فيها الى ان اعتراهُ مرض شديد فغادرها وعاد رياض باشا الى تولي رئاسة مجلس النظار . وبعد استعفاء رياض باشا وتولي نوبار باشا رئاسة النظار عاد مصطفى باشا الى نظارة الحربية ثم استلم رئاسة النظار بعد استعفاء نوبار باشا واقام فيها الى ما بعد مغادرة لورد كرومر لهذا القطر . وطلب ان يقال حينئذٍ من تولي مهام الحكومة فاخَّ عليهِ المرحوم السر الدن غورست بالبقاء فبقي اكثر من سنة ثم استعفى وجعل همهُ الاهتمام بصحتهِ الى ان

كانت الازمة الوزارية الاخيرة فطلب منهُ ان يعود الى رئاسة النظار ولكنهُ رأى ان صحتهُ لا تمكنهُ من القيام بمهامها كلها فلا يستطيع مثلاً ان يحضر جلسات الجمعية التشريعية ليلاً ولا ان يقيم في القطر المصري اكثر شهور الصيف نائباً عن الجناب الخديوي فلذلك ولاسباب اخرى طلب من الجناب الخديوي ان يعفيهُ من تأليف الوزارة فاجاب طلبهُ شاكراً لهُ ما بدا منهُ من الغيرة والحمية على خدمة بلادهِ

وقد وصف نوردكروس مصطفى باشا في خطبتهِ الوداعية فقال وهو ادرى رجال السياسة باقدار الرجال « ماذا اقول عن صديقي العزيز عليَّ الباقي المقام في عينيَّ عطوفة مصطفى باشا فهمي فقد قضينا السنين الطوال ونحن كلانا على اعظم صداقة شخصية . فاولاً اقول انهُ من اعظم الذين التقيت بهم في حياتي لطفاً واكرمهم اخلاقاً واحسنهم مناقب امتاز بتمام الاخلاص والاستقامة والحرية والصدق في كل عمل من اعمال حياتهِ . وثانياً اقول انهُ خدم اهل بلادهِ اجلَّ الخدم ولكن بطريقتهِ المعهودة من السكينة والهدو والابتعاد عن التعرُّض لغيرهِ والدخول في ما لا يعنيهِ . وانا اعلم ان هذه الاقوال التنيلة لا توفي صفاتهِ الجليلة بعض حقها ولا يزال لديَّ قول كثير والوقت يقضي عليَّ ان اختصر في ما اقول »

حسين فخري باشا

لما استعفى مصطفى باشا فهمي من وزارتهِ الاولى على ما تقدم دعا الجناب الخديوي فخري باشا لتأليف الوزارة ولكن بريطانيا العظمى لم توافق على ذلك لا اعتراضاً عليهِ بل لانها كانت قد اشترطت من قبلُ ان تبتشار في تعيين رئيس النظار . وقد نشرنا ترجمة فخري باشا بالتفصيل في مقتطف فبراير سنة ١٩١١ :

بطرس باشا غالي

انتظم في سلك النظار في وزارة رياض باشا الثالثة فجعل ناظراً للمالية ثم جعل ناظراً للخارجية في وزارة نوبار باشا التي تلتها سنة ١٨٩٤ وبقي في هذا المنصب في وزارة مصطفى باشا الثانية ثم لما استعفى مصطفى باشا من رئاسة النظار في اواخر سنة ١٩٠٨ اسند اليهِ الجناب الخديوي رئاسة النظار فبقي ناظراً للخارجية وهو رئيس النظار الى ان هجم عليهِ شاب في العشرين من شهر فبراير سنة ١٩١٠ واطلق عليهِ الرصاص مراراً من مسدَّس فاصدهُ قتلهُ فحمل جريحاً وتوفي في اليوم التالي وقد نشرنا ترجمتهُ بالتفصيل في مقتطف ابريل تلك السنة

محمد باشا سعيد

اكثر نظار مصر من رجال القانون مثل اكثر النظار في البلدان الاخرى فقد كان

عطوفة محمد باشا سعيد مستشاراً في محكمة الاستئناف الاهلية فجعل ناظراً للداخلية في ١٢ نوفمبر سنة ١٩٠٨ ورئيساً للنظار في ٢٣ فبراير سنة ١٩١٠ وبقي ناظراً للداخلية وكان الزمن الذي جعل فيه رئيساً للنظار زمن قلاقل ومشاكل وثورة في الرأي العام ضد كل ما يرضى به الانكليز ولو كان خيراً محضاً لمصر حتى اقرّ مجلس شورى القوانين على حرمان هذا القطر من مقاسمة شركة قنال السويس ربحها الكبير مع ان القطر في اشد الحاجة الى المال وحتى كادت الحكومة الانكليزية لقطع الرجاء من جعل مجلس الشورى مجلساً نيابياً مسؤولاً عن ادارة البلاد كما ترى ذلك مفصلاً في تقرير المرحوم السر الدن غورست عن سنة ١٩١٠ فانهُ صرّح برأي حكومتهِ في ذلك حيث قال

« وما دام هذا هو السبب الاكبر في عدم انتاج سياستنا الحديثة للنتائج التي كان العالم ينتظر ان تنتجها لولا ذلك فالسبيل الذي يلزمنا سلوكهُ في المستقبل القريب بسيط واضح وهو تفهيم المصريين ان حكومة جلالة الملك لا تدع احداً يزحمها حتى تبعد او تستعجل في سبيل منح الحكم الذاتي اكثر مما تقتضيهِ مصالح مصر اجمالاً في رأيها . وما لم يتعلم المصريون هذا الدرس الابتدائي حق التعلم فلا فائدة من اقتراح امور اخرى لترقية اختصاص مجلس شورى القوانين فان اختبار السنوات القليلة الاخيرة قد اثبت لنا انهم لم يدركوا هذه الاولية وهي ان السياسة البريطانية لا يمكن ان تحيد عن سبيلها المستقيم طوعاً لتحريض المحرضين من جهة او لتعدي المعتدين من جهة اخرى

« ففي الماضي لم يغنِ مجرد الكلام والتصريح بالغرض المقصود لاني على قلّة ما لديَّ من الوسائط افرغت جهدي في تقاريري السنوية الحديثة لاؤدي الى اذهان اعضاء مجلس شوري القوانين هذه الحقيقة وهي انهُ لا يمكن توسيع اختصاص مجلسهم الاَّ اذا ثبت ان توسيعهُ لا يكون فيهِ خطر على مصلحة الجمهور ولكن نصيحتي هذه لم تجد منهم آذاناً مصغية فالرجاء أن التصريح الرسمي الذي صرحت بهِ حكومة جلالة الملك لمجلس النواب في شهر يونيو الماضي يجد عندهم نصيباً احسن مما وجدتهُ نصيحتي حيث قالت انهُ لا يؤمل ان يزاد التقدم في مصر حتى يبطل التحريض على الاحتلال البريطاني . على ان اقوى حجة مقنعة بل الحجة الوحيدة التي تعلم هذا الدرس المراد تعليمهم اياهُ هي ان تثبت لهم الحوادث والايام ان ذلك التصريح ليس مجرد كلام في كلام بل هو عبارة عن الخطة الحقيقية التي تتبع على الدوام في السعي في مساعدة المصريين على السير في سبيل التقدم »

هذه كانت حال البلاد لما تولّى عطوفة محمد باشا سعيد رئاسة النظار فلم تختم تلك السنة

حتى قلَّ التهييج على الحكومة والاختلال او زال وصلحت الحال جدًّا فقال السر الدن غورست في اوائل سنة ١٩٠٠ « ان الحالة اصبحت الآن اصلح مما كانت عليه في السنوات القليلة المضطربة التي مرت بنا . فقد تغيرت خطة الفئة المعتدلة من الاهالي تغيراً حسناً بالنظر الى سياستنا وادارتنا . وكذلك اعمال مجلس شورى القوانين اصبحت من اول جلساته الحالية في شهر نوفمبر الماضي مما يبعث على الامل بان يكون الجو قد صفا فيه وروح التعقل قد تغلبت عليه فانهُ تناقش في القوانين المختلفة التي عرضت عليه تناقش من يبغي السير على اصول الاشغال ويقصد انجاز الاعمال واقترح ايضاً اقتراحات مفيدة قبلتها منهُ الحكومة . وقد بدت هذه الخطة الحسنة منهُ خصوصاً في بعض المشروعات التي عرضت لاصلاح المحاكم الشرعية والمجلس الحسبي والجامعة الازهرية »

واستمرَّ تحسُّن الحال على هذا المنوال الى آخر مدة الوزارة السعيدية فأبدلت الجمعية العمومية ومجلس شورى القوانين بالجمعية التشريعية التي انتخب اكثر اعضائها من نوابغ الوطنيين واتسع نطاق مجالس المديريات فتولَّت كثيراً من الشؤون المحلية كالتعليم والتطبيب وانشاء السكك والمستشفيات . وحُمي صغار الملاَّك من رهن اطيانهم ومنعت نظارة الاشغال الضرر الكبير من انخفاض الفيضان وجُعل ديوان الاوقاف ومصلحة الزراعة نظارتين

واعمال الحكومات لا يعملها رجل واحد ولا ينتظر من ملك بلاد ونظَّارهِ ان يتولوا ادارة كل عمل بانفسهم وانما ينتظر منهم ان يحسنوا انتقاء العاملين ويسهلوا عليهم العمل . ويُعلَم ذلك من النتيجة الفعلية التي تصل اليها البلاد في عهدهم فاذا نظرنا الى القطر المصري من هذه الجهة رأينا ان الوزارة السعيدية ابطلت القلق والاضطراب من البلاد بكمها افواه الجرائد المحرضة وجرت في عهدها اعمال كثيرة من انفع الاعمال فاطَّرد سير الاصلاح . ولولا الازمة المالية التي سبقتها ولم تزل ذيولها في البلاد لكان النجاح تامًّا من كل وجه . وقد تعرَّض بعض الموظفين في عهدها للانتقاد بحق او بغير حق وحدثت امور اخرى لم ترض امير البلاد فغيَّرت الوزارة وتغيير الوزارات امر عادي في كل الممالك

حسين باشا رشدي

عطوفة حسين باشا رشدي من رجال مصر الذين تلقوا دروسهم في جنيفا وفرنسا . درس علم الحقوق واجيز لهُ فيه وفي العلوم الادبية والسياسية وتوظف في قلم قضايا المالية ثم جعل منشئاً في نظارة المعارف فاقام في هذا المنصب ست سنوات وانتقل منهُ الى المحاكم المختلطة قاضياً فاقام فيها سبع سنوات ثم جعل مستشاراً في محكمة الاستئناف الاهلية فديراً

لديوان الاوقاف فناظراً للحقانية وذلك سنة ١٩٠٨ ارتقاء متوالٍ في تقدير الكفاءة والاستحقاق

وقد اشتهر عطوفته باللين والدعة والصراحة وبصدق العزيمة ايضاً فوق مهارته في علم القانون واهتمامه بانجاز الاعمال . واشغال الداخلية اوسع نطاقاً واكثر تعقداً من اشغال الحقانية ولا سيما اذا اضيفت اليها مهام رئاسة النظار لكن الناظر الحازم اللبب لا يصعب عليه تذليل حزونها والسير بها الى الغاية المرومة وهي استتباب الامن والسكينة في البلاد واجراء الاعمال النافعة التي تعود على العباد بالخير والاسعاد . فعسى ان يوفق هو واخوانه النظار الى الغاية التي يرمون اليها وتنتظرها البلاد منهم

درس لنظار المدارس

جاء الصيف وتقدّم تلامذة المدارس للامتحان . وستُحسب درجاتهم على نسبة ما يجيبون عنهُ من المسائل الرياضية والطبيعية واللغوية . هذه درجاتهم في الدرس والمدارس ولكن مَن يعلم ماذا تكون درجاتهم في الدنيا . كم من وزير يدير شؤون الممالك الآن وكتابهُ كانت درجاتهم اعلى من درجتهِ في المدرسة . كم من تاجر جمع الملايين وعمّالهُ كانت درجتهم اعلى من درجتهِ في الامتحان . بل كم بين ظهرانينا من رجل حصّل ثروة طائلة وهو اميّ لا يعرف ان يكتب اسمهُ . العلوم مفيدة ولكن فائدتها تتوقف على استعداد المرء لاستعمالها . والاستاذ الماهر هو الذي يبثُّ في نفوس تلامذتهِ محبة العلم ويحملهم على الرغبة فيهِ والعمل بهِ

وقد اطلعنا الآن على سيرة رئيس من رؤساء المدارس الجامعة فاق غيرهُ في ادراك الغاية من التعليم وفي جعلهِ بني بالغاية المطلوبة منهُ وهو الدكتور دانيل ستار جوردان رئيس جامعة ستانفرد باميركا فرأينا ان نقتطف منها السطور التالية لانّ فيها درساً مفيداً لنظار مدارسنا

منذ نحو خمس وستين سنة كان في مدينة سكرمنتو في اواسط كاليفورنيا من الولايات المتحدة الاميركية تاجر صغير اسمهُ للاند ستانفرد رغب هو وامثالهُ من التجار في انشاء سكك حديدية في غرب اميركا وجنوبها فكان ما رغبوا فيهِ . ولم يمضِ عليهِ خمس وعشرون سنة حتى صار من اكبر الاغنياء وصارت ثروتهُ تقدر بالملايين الكثيرة وجُعل حاكماً لبلدهِ ثم عضواً في مجلس الشيوخ . وكان لهُ ولد وحيد فجع بهِ فعقد نيتهُ على ان يجعل ثروتهُ كلها تذكاراً لابنهِ وذلك بان ينشئ مدرسة جامعة يسميها باسمهِ تعلّم الشبان ليصيروا رجالاً